تأملات في سورة الإسراء

تأليف

الدكتور حسن محمد باجودة

رئيس قسم الدراسات العليا العربية

جامعة الملك عبد العزيز

بمكة المكرمة

دار الاعتصام

المقـــــدمة

كل سورة من سور القرآن المجيد يمكن أن تنزل منزلة هـذا النوع أو ذاك من الأزهار والورود والرياحين وما إلى ذلك . فلكل سورة شكلها ولونها وشذاها . وكلها يهدف الى تحقيق هذه الغاية في قوله تعالى . « ان هذا القـرآن يهدى للتى هى أقـوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » . والمتأمل فى القـرآن الكريم ينتهى الى أن له طريقته الفريدة فى الربط بين كليات المعانى وجزئياتها وهى طريقة تجمع بدرجة عجيبة من التوازن لا توجد الا فيه بين ارضاء العقل واشباع النفس، فهو يرضى العقـل بفصوص حكمه ويرضى النفس بتدفق مائه وكثرة رونقه، ومن ثم فهو لا يخلق على كثرة الرد والتكرار . وهى أيضا طريقة قادرة على فرض أخذها فى الاعتبار ومراعاتها بشأن أية دراسة للقرآن الكريم جادة ، مهمـا كان عنوان تلك الدراسة . ومع أنه يمكن القول أن أمثـال هـذه السورة الكريمة يتكون من مقدمة وموضوع وخاتمة. فالمقدمة هنا آية الاسراء، والخاتمة الآيات الأخيرة من السورة التى تهدف الى تسلية المصطفى صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه ، ومع أن مثل هذا القول ينطلق من حقيقة الترابط المحكم بين أجزاء السـورة وإن تباعدت هذه الأجزاء عن تلك ، فإن مثل هذا القول لا ينطق الا بشىء جد قليل من الحق. فان الترابط موجود بدرجة عجيبة بين موضوعات السورة ، وآيات الموضوع الواحد ، وأجزاء الآية الواحدة . ولا يتسنى للمتأمل إلا أن يقول فى خشوع : انه هو القرآن المجيـد وكفى ، الذى تحدى به رب العزة الثقلين ، الانس والجن كى يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة مثله أو من مثله ، فاعترف الجميع بالعجز . ويظل المتأملون يكتشفون على مر العصور عجائب ولطائف فى القرآن الكريم الذى لا تنفد عجائبه ولطائفه .

ونحن فى هذه الدراسة بعنوان « تأملات فى سـورة الاسراء » حاولنا دراسة هذه السورة الكريمة دراسة بيـانية وتبيين الروابط الظاهرة والخفية ـ جهد الطاقة ـ بين أعضائها البعيدة والقريبة على السواء ، واضعين فى اعتبارنا أن القرآن الكريم معجز بنظمه ومبناه وبمضمونه ومعناه « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » وقد حاولنا ـ جهد الطاقة ـ أخذ بعض الدروس القرآنية التى تتيح للانسان أن يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة .

وإن طريقة القرآن الكريم العجيبة فى عرض المعانى وجهت هذه الدراسة ـ وكل دراسة ـ وجهة بعينها . فلم يكن فى الإمكان ان

تدرس هذه السورة الكريمة الا وفق ترتيب آياتها . وكيف لا يكون الأمر كذلك وان ترتيب سور القرآن الكريم وآيه توقيفى !

وانى لاقول بشأن هذه التأملات المتواضعة ، ما قلته بشأن كل دراساتى القرآنية السابقة بانى أشهد الله الذى لا اله الا هو انى لم أنشأ لحظة من اللحظات أن أحمّل حرفا واحدا فى كتاب الله تعالى غير ما يحتمل.ومن كانت له على هذه الدراسة أية ملاحظة فلا يتردد فى ابدائها فالحق أحق أن يتبع .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة كي أوجه شكرى الخـــالص لكل الأساتذة الكرام الذين لم يبخلوا علىّ بملاحظـــاتهم على كتابـــاتى السابقة فى هيئة نقد خطى أو شفهىّ انتفعت بهما فى هذه الدراسة سائلا المولى القدير أن يجزيهم عن العلم وأهله خير الجزاء،اخص بالذكر فضيلة الشيخ عبد الله خياط إمام المسجد الحرام وخطيبه .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن يوفقنا لصالح الأعمال ويأخـــذ بأيدينا وينير لنا السبيل ويعفو عما بدر منا من تقصير ، وصلى الله وسلم على سيدنـــا وحبيبنا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين . والحمد له رب العالمين .

محمد

د. حسن باجوده

رئيس قسم الدراسات العليا العربية
جامعة الملك عبد العزيز ــ مكة المكرمة

السبت ، التاسع عشر من شهر جمادى
الثانيه ســـنة ١٣٩٥ هـ ــ مكة المكرمة

الإهـــــداء

الى روح الشـــهيد رائد التضامن الاســـلامى جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز ـ تغمدهما الله تعالى بواسع رحمته ـ الذى كان يعمل جاهدا من أجل استرداد المسجد الأقصى مسرى نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويتمنى أن يصلى فيه بالقدس الشريف فلم يمهله الأجل المحتوم • وانا لله وانا اليه راجعون • ونبتهل الى الله تعـــالى أن يكون خلفه خـــير خلف •

توطئـــة

ثمة حقيقة ينبغى التنويه بهـا ومراعاتها وهى قادرة على توجيـه الدراسات القرآنية وجهة بعينها • وهذه الحقيقة هى أن القرآن الكريم بعد أن انتهى نزوله كاملا على المصطفى صلى الله عليه وسلم عاد فى ذات الصورة التى كان فيها من قبل، فى كل من اللوح المحفوظ وبيت العزة فى السماء الدنيا بمعنى أن جبريل عليه السلام يعين له صلى الله عليه وسلم موضع ما نزل عليه من سور القرآن الكريم وآياته • وعلى ذلك فان ترتيب سور القرآن الكريم وآياته توقيفى •

هذه الحقيقة قادرة على توجيه الدراسات القرآنية وجهة معينة ، اذ يحاول الدارسون ، جهد الطـاقة البشرية ، تبيين الروابط الظاهرة والخفية بين موضوعات السورة الواحدة وآياتها ، تلك الروابط والأسرار التى تجعل القرآن الكريم غضا طريا دائما ولا يخلق مطلقا على كثرة الرد والتـكرار •

واذا كنا نعنى بما يسمى بالمكى والمدنى من القرآن ، ولا يخرج القرآن الكريم كله عن كونه مكيا أو مدنيا ، فما ذلك الا لأن للزمن بشأننا نحن البشر شأنا أى شأن ، وأن نزول القرآن الكريم منجما ، يعنى مراعاة هذه الحقيقة بشأن البشر • فلم تنشـأ العناية الالهيـة الاثقال على الانسانية بانزال القرآن الكريم كله دفعة واحدة وقد جاء فى صفة القرآن الكريم قوله تعالى[1] : « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » انما شاءت التسهيل والتيسير فكانت آيات القرآن الكريم وأحيانا سـوره تنزل وفق الحاجة وفى المناسبات • وبعد نزول القرآن الكريم كاملا عاد فى صورته التى كان عليها فى السماوات العلى • اذن للقرآن الكريم صورة واحدة هى التى كان عليها من قبل فى اللوح المحفوظ ، وهى التى شاءت العناية الالهية التى ليس للزمن البتة علاقة بعلمها أن يكون فيها بعد نزوله كاملا • وسيتبين أننا فى دراستنا لهذه السورة المباركة راعينا

---

(١) المزمل ، ٥ .

هذه الحقيقة ، فلم نقف عند الآيات التى يقال عنها انها مدنية الا اذا كان ثمة داع قوى لذلك بأن تكون هذه الآية الكريمة أو تلك تأخر نزولها الى ما بعد الهجرة بقصد أن يتهيأ المجتمع الاسلامى لقبول ما تضمنته من تعاليم • فعلى سبيل المثال تضمنت هذه السورة الكريمة آيات فى الحكمة تشكل كتلة قائمة برأسها • ولا شك أن الانسانية فى أمس الحاجة لكل حبة فى عقد الحكمة هذا ، فاذا تأخر الى ما بعد الهجرة نزول الآيتين الكريمتين اللتين تنهى أولاهما عن مجـــرد الاقتراب من جريمة الزنى وتنهى ثانيتهما عن قتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، فان ذلك يعنى أن المجتمع الاسلامى بحاجة الى أن يكون فى مستوى قبول أمثال هـــذه التعاليم السماوية ، وتم له ذلك فى المدينة المنورة وليس فى مكة المكرمة ، فنزلت الآيتـــان الكريمتان ، وهما جزء لا يمكن أن يتجزأ من آيات الحكمة التى نزل أكثرها قبل الهجرة ، بل ان سورة الاسراء هذه مكية فى مجموعها •

حاولنا فى دراستنا البيانية هذه أن نبين الروابط المعنوية واللفظية التى تنظم عقد هذه السورة الكريمة متمثلين دائما وأبدا هاتين الآيتين الكريمتين من السورة ، قال تعالى : ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا • وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ •

وحيث ان السورة الكريمة مكية فى مجموعها ، فمعنى هذا أنها كسائر المكى من القرآن تعنى بأسس العقيدة • وبما أنها تميـــل الى الطول النسبى ، فقد تسنى لموضوعاتها أن تكون متعددة ، وأن يكون ثمة رجوع مستمر الى قضايا معينة ، وبخاصة قضيتا التوحيد والبعث ، وأن تشمل كل المراحل التى تمر بها النفس الانسانية منذ أن تقع تحت التكليف •

عرض سريع لعناصر ســـورة الاسراء :

تبدأ السورة الكريمة بتقرير حدث هام جدا فى الاسلام له علاقة مباشرة بشخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ألا وهو حادث الاسراء الذى يلازمه المعراج كظل له • هذا بالاضافة الى العديد من الإشارات فى السورة الكريمة الى حوادث معينة يعتبر الرسول الكريم الشخص البارز فيها • فكأن هذه السورة الكريمة لا تكتفى بما اكتفت به بعض السور المكية الأخرى التى تميل الى شىء من القصر ، من النص مثلا

على أن النبى الكريم رسول من رب العالمين وأن ما أوحى اليه ليس من الشعر فى شىء ، إنّما هو كلام رب العالمين . إنّ هذه السورة الكريمة تتخطى كل هذا الى إثبات العديد من الوقائع التى كان الرسول العظيم بطلها والتى تدل وهى الجليلة الخطر على أنه صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى رسول رب العالمين .

وبعد الاشارة السريعة الى حادثة الاسراء ، التى عادت اليها السورة مرة أخرى عودة سريعة باعتبارها فتنة للناس ، تحولت السورة الى الحديث عن موسى عليه السلام وقومه بنى اسرائيل الذين هم من ذرية من حمل الله تعالى فى الفلك مع نوح عليه السلام أول رسول لبنى آدم . وقد بينا فى دراستنا حكمة التحول من الحديث عن الاسراء الى موسى عليه السلام وبنى اسرائيل .

والنقطة التى نود أن نقف عندها هى أننا فى هذه السورة الكريمة ، بصدد أمة واحدة قبل الاسلام ، هى أمة بنى اسرائيل ، كان الهلاك من نصيبها أكثر من مرة بسبب الإفساد فى الأرض ، بينما الأمم الأخرى يقضى عليها دفعة واحدة أو يكون ثمة الحديث عن الحادثة الواحدة المعينة التى استئصل بسببها شأفة القوم المكذبين . فما السر بشأن بنى اسرائيل ؟ الحقيقة أن بنى اسرائيل أهل كتاب ، هو التوراة التى أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام . والكتاب بطبعه أطول عمرا من الخوارق المادية المحسوسة التى كانت من نصيب موسى عليه السلام وسواه ، مع ملاحظة أن القرآن الكريم فقط هو الكتاب السماوى الوحيد الذى تكفل رب العزة بحفظه . ومع أن الكتب السماوية الأخرى قد أصابها التحريف بنص القرآن الكريم ، فقد كانت على أية حال ، أطول أثرا فى الأتباع من غيرها . ومن هنا قدّر لأهل الكتاب أن يطول وجودهم ، وفى هذا الطول كانوا يعملون أحيانا بهدى الكتاب وأحيانا أخرى يخرجون على تعاليمه ويحكّمون الأهواء ويفسدون فى الأرض . وفى كل مرة كانت تحل بهم بسبب الفساد نقمة المنتقم الجبار . وهذا هو السر فى انتقام الله تعالى من بنى اسرائيل كل مرة ينحرفون فيها عن الصراط المستقيم .

وحيث إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى تكفل بحفظه رب العزة الى أن يرث عز وجل الأرض ومن عليها ، فقد كان من

الطبيعى بعد ذكر السورة الكريمة للتوراة أن تعنى بالقرآن الكريم • والحقيقة أن هذه السورة الكريمة تعنى بالقرآن الكريم عناية كبيرة جدا لدرجة أنها أكبر سور القرآن حظا بترداد لفظة القرآن فيها، هذا الى أن حديثها عن القرآن الكريم فيه كبير تفصيل • فهذا القرآن يهدى للطريقة التى هى أقوم ويبشر المؤمنين وينذر الكافرين ، قال تعالى : ﴿ ان هـذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا • وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ فالحديث عن القرآن الكريم هنا متعلق بسلوك الناس فى الحياة وفق تعاليمه أو بعكس ذلك • وفى موضع آخر يكون الحديث عن القرآن الكريم من زاوية المتلقين له من حيث الايمـان أو الكفر • المؤمنون ينتفعون بما يسمعون منه ، أما الآخرون فلأنهم غير مستعدين لتلقيه فكأن هنـاك حجابا مستورا يمنع نور هداية القـرآن أن يصل القوم الكافرين، وأكنة على قلوبهم أن يفقهوه ووقرا فى آذانهم أن يسمعوه • بل إنهم لا يستطيعون أن يتحملوا سماعه سماعا مجردا فضلا عن سماعه سماع تدبر • قال تعالى : ﴿ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا • وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا ، واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا • نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ وهذا تعميق لانصرافهم الذى أشار اليه من قبـل قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا فى هـذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ﴾ •

وفى موضع آخر يتم تعميق حقيقة التلقى للقرآن الكريم من قبل كل من المؤمنين والكافرين ، وكيف أنه شفاء ورحمـة للمؤمنين بينما هو لا يزيد الظالمين الا خسارا • قال تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ •

وفى موضع آخر يكون الحـديث عن القرآن الكريم من حيث كونه يرتل فى الصلاة ، التى هى عماد الدين ، وفى غير الصلاة • قال تعالى : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا • ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ •

وفى موضع آخر يكون الحديث عن القرآن الكريم ذا جوانب متعددة . فهو فضل كبير من الله تعالى يمن به على عبده صلى الله عليه وسلم الذى أوحى اليه بالقرآن ، ومن مظاهر فضله عز وجل على عبده ورحمته به أن هذا القرآن الكريم أبقاه الله تعالى فى الصدور أو مكتوبا . ولو شاء غير ذلك لفعل . وهذا القرآن معجزة لا يستطيع الانس والجن أن يأتوا بمثله ولو اتحد الانس والجن على القيام بهذه المحاولة معا . ومع ذلك فان كفار مكة ينصرفون عن هذه الآية الكبرى الخالدة الى طلب بعض الخوارق المادية التى أقل ما يقال عنها انها محدودة بفترة معينة ومكان معين وأناس معينين.أما الذى لا يصح تحقيقه منها فقد أراد القوم بطلبها اللهو والعبث ، بينما القرآن الكريم باق وخالد باذنه تعالى الى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها . قال تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا . الا رحمة من ربك . ان فضله كان عليك كبيرا . قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ .

وقد عنيت الآيات الأخيرة من السورة بالقرآن الكريم ومتعلقاته من دعاء وصلاة وتكبير وما الى ذلك . قال تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أو لا تؤمنوا . ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا . قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى . ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا . وقل

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا

وانما كانت عناية هذه السورة الكريمة كبيرة بالقرآن الكريم باعتباره كتاب هداية • واذا كانت الارادة الالهية قد شاءت الانتقام من بنى اسرائيل وهم أهل كتاب بسبب عدم سيرهم وفق تعاليم هذا الكتاب وافسادهم فى الأرض فواجب المسلمين أن يستفيدوا جيدا من هـذا الدرس القرآنى وأن يسيروا وفق النور القرآنى ونور سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم • قال تعالى(١) : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ •

وانا لنحس دائما أن هذه السورة الكريمة تتحدث عن الرحلة الطويلة للانسان منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا الا ابليس عليه لعنة الله ، الى أن يدخل الناس يوم القيامة حسب أعمالهم وعفو الله تعالى أو تعذيبه الجنة أو النار •

ونفهم منذ بداية الرحلة أن الناس سينقسمون فريقين • عباد الرحمن من ناحية وأتباع الشيطان من ناحية أخرى • والحقيقة أن الحديث عن كل من الفئتين يشغل فى العديد من مواضع السورة العديد من الآيات • وقد شاءت ارادة الله تعالى ألا يعذب الناس الا بعد اقامة الحجة عليهم• وأكبر حجة ارسال الرسل • قال تعالى : ﴿ من اهتدى فانمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى • وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ • وما حدث بعد آدم عليه السـلام من انحراف البشرية عن الصراط المستقيم حدث بعد نوح عليه السلام • فاستحقوا عذاب الله تعالى • قال عز من قائل : ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعـد نوح ، وكفى بربك بذنوب عبـاده خبيرا بصيرا ﴾ • وأهم الأسباب التى تدعو الناس الى الفساد الا من رحم ربك هو الترف • قال تعالى : ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ •

ومن مظاهر عناية السورة الكريمة بجانب السلوك الإنسانى ، آيات الحكمة كى تهتدى الأمة بهديها ويسيروا بسببها فى الطريق التى هى

---

(١) الحـديد ، ١٦

أقوم • وقد ابتدأت هذه الآيات وانتهت بتوحيد الله تعالى • قال عز من قائل : ﴿ لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا • وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • ولخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا • ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا • وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا • ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا • واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا • ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا • ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا • ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا • ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق • ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا • ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدهوأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا • وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا • ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا • ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ﴾ •

وان ابتداء آيات الحكمة وانتهاءها بتوحيد الله تعالى ، بالاضافة الى دلالته على أن هذه القضية غاية فى الأهمية ، بل أهم القضايا ، هو يعنى أن هذه الحياة الدنيا ليست سوى طريق مؤد الى الآخرة دار البقاء والتى هى خير من الأولى •

وكأن الانسان انما يحرث ويبذر البذور فى الدنيا أما الحصاد وجنى الثمار ففى الآخرة • ولا يكون الحصاد أو الثمار الا من نوع البذور • قال تعالى : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ •

والانسان مسئول وحده عما قام به من أعمال . وهذا من أهم الأسباب التى تجعل شخصية المسلم أو المسلمين جماعة قوية . فعلى كل أن يختار ما يريد فانه محاسب أخيرا على كل صغيرة أو كبيرة تصدر منه . قال تعالى : ﴿ من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان فى هـذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يهد الله فهو المهتـد ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا . ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا . قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذن لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسـان قتورا ﴾ .

وليس جنس الانسان قتورا فقط ، بل إنه عجول وكفور . قال تعالى : ﴿ ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ﴾ وقال تعالى: ﴿ واذا امسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا . أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا . أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصـفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينـا به تبيعا ﴾ وقال تعـالى : ﴿ واذا أنعمنـا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ﴾ .

ويرتبط بالمسئولية المفاضلة والحث على التنافس فى الخير . قال تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ . وتمتد المفاضلة كى تشمل الأنبياء

صلوات الله وسلامه عليهم • قال تعالى : ﴿ وربك أعلم بمن فى السماوات والأرض • ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ • وان الانسان أهل لكل التبعات التى ألقيت على كتفيه ، قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ ومن مظاهر تكريم الانسان أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس ، فعلى ذريه آدم أن يحذروا اللعين وقد أفاضت السورة الكريمة فى ذكر هذه القصة وفى التحذير من اللعين • ولكن قليلا من العباد هم الشكورون • أما الأكثرية فانهم يتبعون خطوات اللعين • ومن هؤلاء كفار مكة الذين لهم فى هذه السورة الكريمة نصيب موفور ، والذين أعرضوا عن كل آيات الله تعالى الدالة على وحدانيته وقدرته المطلقة بما فى ذلك البعث • أعرضوا مثلا عن آية الليل وآية النهار ، وأعرضوا عن القرآن الكريم آية الله تعالى الكبرى على الرغم من اعترافهم بالعجز عن محاكاتها • ومع ذلك هم يطلبون آيات وخوارق أخرى ، ليس بقصد أن يؤمنوا ولكن بقصد أن يتلهوا • وقد قال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا ﴾ •

وقد سجلت السورة الكريمة العديد من مواقف مشركى مكة المناوئين للرسول الكريم وللاسلام • من ذلك موقفهم من قص الرسول عليهم معجزة الاسراء به • ومحاولتهم فتنته عليه الصلاة والسلام عن القرآن الكريم كى يفترى على الله تعالى غيره ، وحرصهم على استفزازه صلى الله عليه وسلم بقصد أن يخرجوه من مكة الى غير ذلك من المواقف والطلبات التى لا أول لها ولا آخر بسبب حسدهم له صلى الله عليه وسلم وإنكارهم لقضية البعث التى أولتها السورة الكريمة عناية فائقة •

ومن موضوعات السورة الكريمة الرغبة فى تسليته صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه • وقد ابتدأ ذلك بالطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يقيم الصلاة ويقرأ القرآن الكريم وتلقينه صلى الله عليه وسلم صيغة دعائه الله تعالى فى اقباله على كل أمر من الأمور • تلا ذلك تهديد المعرضين السائلين أسئلة جدلية وإخبارهم أنه عز وجل هو الشهيد بأنه رسول رب العالمين • وبسبب التشابه بين موقف قوم موسى عليه السلام وموقف قومه صلى الله عليه وسلم ، عادت السورة الكريمة الى ذكر

موسى عليه السلام وموقف كل من المؤمنين به والكافرين • والحقيقة أن القسم الأخير من السورة الكريمة يهدف بالدرجة الأولى الى تسليته صلى الله عليه وسلم والتسرية عنه • والحقيقة أيضا أن لجملة « قل » خطابا للمصطفى صلى الله عليه وسلم والتى ابتدأت بها آيات كثيرة لها أكبر الدوز فى التسلية وتثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم بسبب قدرة هذه الجملة على الإيحاء بأن مكان المخاطب ليس بعيدا من المتكلم •

(١)

الإســـــــراء

قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير ﴾ .

ومناسبة نزول هذه الآية الكريمة ، هو الاسراء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، بنص الآية ، من المسجد الحرام فى مكة المكرمة ، الى المسجد الأقصى فى القدس الشريف ، وأطلق لفظ الاسراء على السورة ، من باب اطلاق الجزء على الكل . كما أنه يطلق عليها سورة بنى اسرائيل ، بسبب الإشارات المستفيضة ، فى أول السورة ، وآخرها الى موسى عليه السلام وقومه بنى اسرائيل . ومن هنا قيل : سورة الاسراء أو سورة بنى اسرائيل . .

ويلاحظ بشأن هذه الآية الكريمة ، أنها تبين الترابط المحكم بين المسجد الحرام ومكة المكرمة ، المكان الذى بعث فيه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وبين المسجد الأقصى والقدس الشريف الذى بارك الله عز وجل حوله من الناحيتين ، الدينية والدنيوية .

إن كل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، يستمدون تعاليمهم من مصدر واحد ، لذا كانت التعاليم واحدة ، هى الدعوة الى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له .

والإسراء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام فى مكة المكرمة ، الى المسجد الأقصى الذى بارك الله تعالى حوله ، فكانت الشام بلاد الأنبياء ، تعنى هيمنة الاسلام على الديانات السماوية قبله ، ووراثة المصطفى صلى الله عليه وسلم لمقدسات تلك الأديان ، وخير دليل على ذلك هو أن الآية الكريمة تستخدم لفظة المسجد « الى المسجد

الأقصى » وليس أية لفظة أخرى تدل على مكان العبادة فى اليهودية أو النصرانية • وسنعود ان شاء الله تعالى الى زيادة هذه الحقيقة توضيحا ، حينما نتحدث عن الآية السابعة التى تخاطب بنى اسرائيل وتستخدم لفظة المسجد الدالة على مكان العبادة فى الاسلام ، وليس اللفظة الدالة عليه فى اليهودية • قال تعالى : ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ •

وتبدأ الآية الكريمة ، بل السورة ، بتنزيهه عز وجل عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته — ويلاحظ أن السورة الكريمة تنتهى بحمد الله تعالى المنزه عن كل ما لا يليق بذاته العلية من اتخاذ ولد أو شريك فى الملك أو ولى من الذل — وهذا اللفظ « سبحان » خاص بالذات العلية ، ولذا لم يأت بعد ذلك لفظ الجلالة نصا ، اكتفاء بدلالة « سبحان » ولذا كان الضمير فى قوله تعالى : « بعبده » عائدا الى معلوم تماما ، عودة اسم الموصول « الذى » وتقدير الكلام ، والله أعلم : سبحان الله الذى أسرى الملائكة بعبده محمد ليلا •• ولا يخفى أن الاضافة فى قوله « بعبده » إضافة تشريف واختصاص له صلى الله عليه وسلم •

وحينما نضع لفظ « سبحان » الذى يليق بالذات العلية فقط فى كفة ، ونضع القول « بعبده » والمراد بهذه الصفة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى كفة أخرى ، ونتبين المناسبة العظمة التى بتم فيها من رب بأنه عبد الله عز وجل ، ندرك أن هذه الصفة ~~وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم « عبد الله »~~ أكرم صفة يتحلى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، عبد الله ورسوله ، إذ خلعها عليه ، دون سواها من الصفات ، فى هذه المناسبة العظيمة رب العزة ذو الجلال المتفرد بالكمال . فينبغى الفصل التام بين مقام الألوهية وبين مقام العبودية المحصور فيه دائما المصطفى صلى الله عليه وسلم وكل الأنبياء الكرام • فصفة العبودية موافقة تماما لطلبه صلى الله عليه وسلم ألا يطريه واحد من أمته كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليهما السلام فتورطوا فى الخلط بين صفتى العبد والمعبود جل وعلا •

فنحن بصدد درس بليغ يلقيه علينا نحن المسلمين القرآن الحكيم ، بأن نضع كل أمر فى نصابه •

والإسراء هو السير ليلا • وبشأن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، إنما تم الاسراء عن طريق الملائكة المقربين الذين أمروا بالاسراء به عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، والمسافة بينهما آنذاك مسيرة أربعين ليلة بسبب المواصلات البطيئة الصعبة • وإن تنكير اللفظ « ليلا » معمق لطبيعة ذلك النوع من السرى ، اذ إن التنكير قادر على الايحاء بأن قطع تلك المسافة الطويلة ذهابا وايابا كان فى جزء من ليلة واحدة وليس فى ليلة كاملة وهو جزء أقرب الى آخر الليل منه الى أوله ، والمعروف أن النفس التقية تكون فى مثل ذلك الوقت عادة أكثر تعلقا ببارئها وقربا منه •

ما أبهج السرى من المسجد الحرام بالبلد الأمين الى المسجد الأقصى بالقدس الشريف وأشد جلاله ، فى تلك الليلة المتلالئة الأنوار ، السابحة فيها طواهر الأرواح •

الموضع الذى ابتدأ منه الإسراء :

ونود أن نتبين المكان الذى تم منه الإسراء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم • أهو من المسجد الحرام أم من بيت أم هانىء بنت أبى طالب؟ ويكون المراد بالمسجد الحرام مكة كلها لأنها حرم ، فعن ابن عباس : الحرم كله مسجد ؟

وفى سبيل تعيين أحد المكانين ، نحاول أن نلقى نظرة متأنية على الآية الكريمة ، علنا نستطيع أن ننتهى الى رأى راجح • قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ • ويلاحظ ما يلى •

أولا : تنص الآية الكريمة على أن الإسراء كان من مسجد ، هو المسجد الحرام ، الى مسجد ، هو المسجد الأقصى •

ثانيا : إن القول فى الآية : ﴿ الى المسجد الأقصى ﴾ خاص بهذا المسجد المحدود المعالم ، ولا يتسع كى يشمل غير المسجد • وحيث إن القول : ﴿ الى المسجد الأقصى ﴾ معطوف على القول : ﴿ من المسجد

الحرام » فينبغى قياسا أن تكون حدود القولين واحدة • فبما أن القول الثانى لا يتعدى المسجد ، اذن لا يتعدى القول الأول المسجد أيضا •

ثالثا : من أقوى الأدلة على أن التعبيرين فى الآية الكريمة لا يتعديان المسجدين هو أنها حينما تعرضت لما هو خارج عن المسجد الأقصى أضافت القول : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ • ولو أن الآية الكريمة أرادت ما هو خارج حدود المسجد الحرام ، ولو أرادت وصف ما هو خارج عن المسجد الحرام ، لاستعملت على أقل تقدير لفظا آخر يدل على هذا الخروج من حدود المسجد ، كأن يقال مثلا : من البلد الحرام • فدل استعمال لفظ المسجد فى الموضعين على أن المراد المسجدان وليس ما خرج عنهما • والله أعلم •

رابعا : حينما نتأمل وصف كل من المسجدين فى الآية : ﴿ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ﴾ نحس أن صفة الحرام فى قوله تعالى : « من المسجد الحرام » تضيف جديدا الى هذا المسجد الذى يتعبد الخلائق اللهَ تعالى فيه • فقد جعله عز وجل حراما • وبما أن صفة الأقصى فى قوله تعالى : ﴿ الى المسجد الأقصى ﴾ تقريرية ، اذ أنها تبين مكان هذا المسجد القصى من المسجد الحرام ، فقد كان تلك الليلة أقصى مسجد يبتعد عن المسجد الحرام ، وهذا خادم لمعجزة الإسراء ، وبما أن هذا المسجد الأقصى قد جعله الله تعالى فى بقعة مباركة من الوجهتين الدينية حيث ان الشام بلاد الأنبياء ، والدنيوية ، حيث أنها أرض باركها الله تعالى بالخيرات الكثيرة • وبما أن صفة الأقصى لاتدل على ما خص الله تعالى به تلك المنطقة وفيها المسجد الأقصى ، بينما تدل صفة الحرام فى قوله تعالى : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ على ما خص الله تعالى به مسجده فى مكة المكرمة • لكل ذلك جاء فى الآية الكريمة بشأن المسجد الأقصى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ وكأن الوصف بالبركة بشأن المسجد الأقصى فى مقابل الوصف بالحرام بشأن المسجد المكى •

مما سبق يتضح أننا نرجح أن الإسراء تم من المسجد الحرام وليس من بيت أم هانىء • وهذا يتفق مع ما جاء فى الصحيح[1] •

---

(١) ٦٦/٥

وقد وفق أحد العلماء بين الرأيين مرجحا أن الإسراء انما تم من المسجد الحرام . جاء فى الظلال[1] : « والراجح من مجموع الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك فراشه فى بيت أم هانىء الى المسجد ، فلما كان فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أسرى به وعرج » .

زمان الإسراء وطبيعته :

وكما كان هناك أكثر من رأى حول مكان الإسراء ، كذلك هناك أكثر من رأى بشأن زمانه . فمن قائل إنه قبل الهجرة بعام ، وقائل إنه قبل الهجرة بعام ونصف فى رجب ، وقائل إنه كان فى سبع عشرة من ربيع الأول والرسول عليه السلام ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما[2] أما القائلون بأن الاسراء انما كان قبل المبعث فهو رأى ضعيف جدا فيما يبدو .

وكذلك ثمة اختلاف فى طبيعة الإسراء به صلى الله عليه وسلم . هل هو فى اليقظة أم فى المنام ؟ وهل هو بالجسد أم بالروح ؟

والذى يبدو ، والله أعلم ، أن الإسراء ، وكذلك المعراج ، كانا بجسد المصطفى صلى الله علية وسلم وروحه . والدليل على أن الإسراء كان بالجسد والروح معا ، موقف كفار مكة ، من اخباره بالاسراء به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فبسبب فهمهم أن الإسراء كان بالجسم والروح معًا أنكروا وكذبوا . ولو فهموا أن الإسراء عبارة عن رؤيا رآها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لما كان ذلك موقفهم ولما طلبت أم هانىء ، منه صلى الله عليه وسلم ألا يحدّث قريشا بذلك خشية أن يكذبوه .

ونعتقد أن الرؤية فى القرآن الكريم ، أثناء الحديث عن كل من الإسراء والمعراج بصرية . جاء بشأن الاسراء قوله تعالى : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ وجاء بشأن المعراج فى الآيات المتقدمة من سورة النجم المكية

---

(١) ١٠/١٥

(٢) وانظر البحر المحيط ٥/٦ والكشاف ٢٢٣/٢

النص على الرؤية أكثر من مرة ، وعلى البصر الذى يرتبط عادة بعينى الرأس • لقد رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الشديد القوى مرتين • مرة فى الأرض ومرة فى السماء ، كما رأى صلى الله عليه وسلم آيات وآيات ، ورأى الكبرى من آيات ربه[1] والله تعالى أعلم بحقيقة هذه الآية الكبرى • قال تعالى[2] : ﴿ والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ •

وقد نبه الأستاذ الشعراوى الى الفروق الدقيقة بين الجملة التى استعملت فى الاسراء بشأن الرؤية وبين الجملة الأخرى التى استعملت فى المعراج بشأن الرؤية • لقد جاء الفعل متعديا بشأن الاسراء ولازما بشأن المعراج ، واليك تعليله اللطيف الجليل[1] : « ونلاحظ أن القرآن حينما تعرض لآية أرضية وهى الإسراء قال : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه •• » فكأن الفعل هنا اراءة • وما هى الإراءة ؟ الإراءة هى أن تجعل من لا يرى يرى ، وذلك اما بتحويل المرئى الى قانون الرائى أو بنقل الرائى لأن ينفذ الى قانون المرئى • ولنأخذ مثلا توضيحيا لذلك : هنالك الميكروب الذى يكتشف • الميكروب كان موجودا قبل أن يكتشف وليس معنى اكتشافه أنهم أوجدوه ، ولكنه كان موجودا دون أن يكون للحس طريق اليه • فلما اخترعت المجاهر أمكن للذى لا يرى وهو الميكروب أن يرى • فحصلت اراءة للميكروب الذى لم يكن يرى • يرى بماذا ؟ بعملية تحويل ، وهى أننا أتينا بعدسة تكبر لنا الأشياء ، فما لم يكن يرى أولا أصبح يرى الآن • ومثلا المريض ببصره يذهب الى الطبيب ، فالطبيب يعطى له نظارة ، والنظارة تكبر له الأشياء ، فما لم يكن يراه أولا ، رآه ثانيا ، وقد يجرى له عملية جراحية فى عينه

---

(١) انظر هنا ، الاسراء والمعراج ، محمد متولى الشعراوى ص ٧٦ ، ٧٧
(٢) النجم ، ١ — ١٨ .
(٣) الاسراء والمعراج ، ٦٦ — ٦٩ .

بحيث لا يحتاج الى هذه النظارة ، فإذا لم يحتج الى هذه النظارة ليرى يقال : رأى هو . إذا فالإراءة اما أن تكون بتغير ما فيه الى قانون الرائى فيرى ، أو باعطاء شيء في المرئى ليرى بذاته . فلما جاء فى حادث الإسراء قال : « لنريه » لأن محمدا عليه الصلاة والسلام على الأرض ، وبشرى بقانون البشرية ، وقانون الإبصار فيه خاضع لقانون الضوء ، وقانون الضوء لا يختلف فيه أحد . فاذا كانت هناك آيات من غيب الله فى الأرض ، فلابد أن يحدث له إراءة ، لأنه بطبيعته لا يرى هذه الأشياء . فالإراءة اذا كانت هناك فى الأرض ، لكن حينما ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملأ الأعلى ، ويلتقى بالأنبياء الذين ماتوا قبله ، ويلتقى بالملائكة فقد تغيّر شيء فى ذاتيته صلى الله عليه وسلم ، وكأنه طرح البشرية ، وأخذ شيئا من الملائكية التى ترى بنفسها . فلما صعد الى السماء قال ماذا ؟ قال : « لقد رأى » ولم يقل أريناه « لقد رأى من آيات ربه » . « ولقد رآه نزلة » ولم يقل أريناه . « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » .. فكأن الرسول فى بشريته فى الأرض كان محتاجا الى أن يعدل القانون فى ذاته بالنسبة للرائى والمرئى . وأما فى السماء فقد أخذ وضعا آخر . هذا الوضع الآخر أصبح بذاته يرى ، لأنه أصبحت هناك ملكية . فالبشرية طرحت فى الأرض ، والملائكية أصبحت هى المسيطرة على رسول الله فأصبح يرى » .

ونحن حينما نذهب الى أن كلا من الاسراء والمعراج ، كان بجسم المصطفى صلى الله عليه وسلم وروحه ، وليس بروحه فقط ، انما نعتمد — كما تبين من قبل — على ما تقول به النصوص القرآنية أو توحى . وإلا فان كلا منهما سواء أكانا بالجسد والروح معا أم بالروح فقط ، فانهما يظلان معجزة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وما أكثرها . كما أنهما يدلان على منزلته صلى الله عليه وسلم عند بارئه .

والحقيقة أنه ليس من حق إنسان واحد أن يستكثر الاسراء والمعراج بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم وروحه معا ، فما أهون ذلك بشأن الفعال لما يريد ، الذى اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون .

ونود بهذه المناسبة أن نشير الى ما من الله تعالى به من فضل على واحد من عباده الصالحين ولم يكن نبيا ولا رسولا . وقد تمثل ذلك فى نقل جسم مادى بقدرة القادر على كل شيء من مكان ناء الى آخر فى

لمح البصر ، وتفسير ذلك أنه فضل الله تعالى على الذى عنده علم من الكتاب بأن يحضر عرش ملكة سبأ فى اليمن الى حضرة سليمان بن داود عليهما السلام فى الشام • وهذا الرجل المنعم عليه عنده علم من الكتاب ، وخصه عز وجل بهذه الكرامة • قال عز من قائل فى سورة النمل[1] : « قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين • قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » •

فهذا الرجل الذى عنده علم من الكتاب يخاطب نبى الله سليمان بن داود فى لهجة كلها ثقة فى فضل الله تعالى بأن عنده بارادته عز وجل القدرة على أن يحضر عرش ملكة سبأ الى مجلس سليمان عليه السلام فى لمح البصر وقبل أن يرتد فى تلك اللحظة لسليمان عليه السلام بصره حاملا اليه صورة أول ما وقعت عليه عيناه ! وهذا هو معنى قوله تعالى على لسانه : ﴿ قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ • وبقدرة الفعال لما يريد ، يقترن الفعل بالقول ، ويجد سليمان عليه السلام عرش ملكة سبأ مستقرا أمامه فى حالته التى كان عليها فى اليمن لم ينقص منه شىء ولم يزد ، بدليل أن ملكة سبأ حينما رأته وسئلت عنه أجابت بما يفيد أنه يكاد يكون عرشها ، قال تعالى عن سليمان عليه السلام[2] : ﴿ قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون • فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ، وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ •

وهكذا يتبين أن فضل الله تعالى على هذا الرجل الصالح الذى عنده علم من الكتاب ، والذى لم يكن نبيا ولا رسولا ، يتجلى فى جعله قادرا بارادته عز وجل ، على أن ينقل عرش ملكة سبأ من اليمن الى الشام فى لحظة من الزمن تكاد لقصرها لا تكون جزءا منه • وحينما نتمثل هذه الحقائق التى نص عليها القرآن الكريم ، وننتقل الى الإسراء والمعراج بشأن خير خلق الله تعالى ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فانا ننتهى الى أنهما رهينان بقول الفعال لما يريد : ﴿ كن فيكون ﴾

---

(١) ٣٨ — ٤٠ .
(٢) النمل ، ٤١ ، ٤٢

وحينما يرجح فى اعتقادنا أنهما كانا بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم وروحه معا ، كما يفهم من الآيات القرآنية فى المناسبتين ، فانا لا نملك الا أن نرتل فى خشوع قوله تعالى[1] : ﴿ انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ .

وربما أضفنا الى ما سبق دليلا على كون الإسراء والمعراج انما كانا بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم وروحه معا ، وهذا الدليل هو أنه من المعلوم أن اللفظ : « سبحان » لا يليق الا بجلاله عز وجل وعظمته ، ومن هنا لم يذكر لفظ الجلالة بعد ذلك صراحة انما عاد الضمير فى قوله تعالى : « بعبده » الى الذات العلية التى دل عليها اللفظ : « سبحان » . وحينما يجىء بعد هذا التنزيه الاشارة الى الاسراء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فالمظنون أن صورة ذلك الاسراء ينبغى أن تكون رائعة روعة التنزيه للذات العلية فى القول : « سبحان » . ونعتقد أن تلك الصورة الرائعة كانت فى هيئة الإسراء بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم وروحه معاً ، ثم العروج به كذلك . قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ .

وان الجزئية الأخيرة فى الآية الكريمة : « انه هو السميع البصير » لتضع المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مكانه الرفيع العالى الذى خصه به عز وجل ، السميع لأقواله صلى الله عليه وسلم العليم بأفعاله ، وبالتالى هو فقط العليم بالشخص الذى يختاره رسولا ويختصه بالمعجزات ، ومنها معجزة الاسراء والمعراج .

لماذا لم تتحدث السورة عن المعراج بعد الإسراء ؟

معروف أن المعراج ملازم للإسراء ، وحينما يذكر الإسراء يتبادر الى الذهن المعراج ، وكأنه ظل للإسراء . فلماذا عدلت السورة الكريمة عن ذكر المعراج بعد ذكر الإسراء ؟ الحقيقة أن عدول السورة الكريمة عن ذكر المعراج الى موضوع آخر ذى علاقة من نوع آخر بالمكان الذى

---

(1) يس ، ٨٢ .

كان اليه الاسراء ، من مظاهر رحمته عز وجل بعباده • فالمعروف أن احتفاء السماء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم كان فى الوقت الذى جفاه فيه أهل الأرض ، وفى مقدمتهم كفار مكة الذين تمكنوا الى حد كبير من تضييق الخناق على المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد موت سنده خارج المنزل عمه أبى طالب وموت عزائه فى المنزل وسلوته زوجه السيدة خديجة رضى الله تعالى عنها • وحيث ان فى امكان المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يستأنس بشأن الاسراء بالأدلة التى يعرف كفار مكة والتى يمكن أن تقودهم لو كانوا منصفين الى تصديقه صلى الله عليه وسلم ، بينما لا يمكن تطبيق شىء من ذلك بشأن المعراج ، اذ أنه معجزة خاصة به صلى الله عليه وسلم ودالة على تفضيل الله تعالى على سائر الخلق ، لذا اكتفت هذه السورة الكريمة بالحديث عن معجزة الاسراء التى يمكن اقامة الدليل المادى عليها • وهذا من مظاهر رحمة السميع البصير بعباده ، وفى مقدمتهم عبده وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى لم يتخل عنه طرفة عين ، فعلى سبيل المثال ، كان منه عز وجل أكبر العون له صلى الله عليه وسلم كى يقيم لكفار مكة الدليل على الاسراء ، جاء فى الصحيح[1] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر ، فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه •

وهكذا يتبين أنه من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده أن[2] : « جعل النص على الاسراء الذى يقام عليه الدليل المادى — لأنه أرضى — بالنص الصريح • وجعل المعراج — لأنه سماوى — بالالتزام » •

---

(١) صحيح البخارى ، ٦٦/٥ وانظر حديث المعراج بعد ذلك مباشرة .
(٢) الاسراء والمعراج ، محمد متولى الشعراوى ص ٥٨ .

(٢)

موسى عليه السلام
وبنو إسرائيل

تبينا أن السورة الكريمة لم تتحدث عن المعراج إثر حديثها عن الإسراء للسبب الذى سبق أن أوضحنا . وبقى علينا أن نعرف لماذا تحدثت السورة عن موسى عليه السلام وبنى اسرائيل بالذات إثر الحديث عن الإسراء . الحقيقة أن هناك عدة أسباب جعلت السورة الكريمة تتحدث عن موسى عليه السلام وبنى إسرائيل بالذات دون أى نبى آخر وأقوام آخرين ، وهذه هى الأسباب .

أولا : تبينا أن الآية الكريمة التى تتحدث عن الاسراء تستخدم لفظة المسجد بشأن المسجد الأقصى الذى بارك الله تعالى حوله من الناحيتين الدينية والدنيوية ، فأفهم ذلك أن الاسلام ناسخ للديانات قبله وأن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الوارث لمقدسات الديانات السابقة . وحيث إن الإسراء الذى له علاقة وثيقة ببلاد الشلام أرض الأنبياء من مظاهر تشريف المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد انتقلت السورة الكريمة — بعد أن عدلت عن الحديث عن المعراج — الى الحديث عن رسول كريم له علاقة ببلاد الشام ، وعن مظهر من مظاهر تشريف الله تعالى له بانزال التوراة عليه .

ثانيا : حينما نستعرض الرسل الكرام الذين قص الله تعالى علينا فى محكم كتابه ، فانا نتبين أن حظ موسى عليه السلام من الآيات المادية والخوارق الحسية كبير جدا ، فقد آتاه الله تعالى ، كما تنص على ذلك هذه السورة الكريمة ، تسع آيات بينات . فاذا نظرنا الى كفار مكة الذين يشكل الحديث عنهم فى هذه السورة الكريمة موضوعا من موضوعاتها ، فانا نتبين أن لهم مواقف جد عجيبة وواضحة من الآيات والمعجزات ، انهم يعرضون عن آيات الله تعالى الدالة على قدرته المطلقة ووحدانيته ، ويطلبون من المصطفى صلى الله عليه وسلم بقصد اللهو والعبث خوارق مادية وآيات — وسنعرض لكل ذلك بالتفصيل مستقبلا

ان شاء الله تعالى ــ وقد عنيت هذه السورة الكريمة بموقف كفار مكة العجيب من الآيات والمعجزات ، بما فى ذلك معجزة الاسراء ، كما عنيت عناية فائقة بآيات الله تعالى عامة ، بما فى ذلك الآية الكبرى والمعجزة الخالدة القرآن الكريم • وهكذا يتبين ان انتقال الحديث الى موسى عليه السلام بالذات ، لأن عناية السورة الكريمة بالآيات عناية كبيرة ، ولعل موسى عليه السلام من أكثر الرسل السابقين آيات مادية ومعجزات وخوارق • وقد كان كفار مكة بالذات حريصين على أمثال هذه الآيات المادية والخوارق الحسية •

ثالثا : ما أشد الشبه بين موقف أتباع كل من الرسولين الكريمين • ففى ذكر موسى عليه السلام ، وهو من أولى العزم من الرسل ، أول السورة ، والعودة اليه مرة أخرى فى نهايتها مع ذكر ما صادف عليه السلام هو والفئة القليلة المؤمنة من فرعون وقومه ، تسلية للمصطفى صلى الله عليه وسلم وللفئة القليلة آنذاك المؤمنة •

رابعــا : اذا كان ثمة ارتباط من الرسولين الكريمين بأرض الشام يهيىء لانتقال الحديث من الاسراء الى موسى عليه السلام ، فان هناك وجه شبه آخر بين الرسولين الكريمين ، هو أن كلا منهما قد آتاه الله تعالى كتابا سماويا ، التوراة من نصيب موسى عليه السلام والقرآن الكريم ، الذى تكفل الله تعــالى بحفظه ، من نصيب خاتم الأنبيــاء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم •

مما سبق تبين الأسباب التى جعلت السورة الكريمة تنتقل من الحديث عن معجزة الاسراء التى خص الله تعالى بها عبده محمدا صلى الله عليه وسلم ــ ويرتبط بذلك المعراج ــ الى الحديث عن موسى عليه السلام وقومه بنى اسرائيل. فالرباط بين الموضوعات محكم والتجانس واضــح•

موسى والكتاب :

قال تعالى : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ، ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبـــدا شكورا ﴾ .

وفى سبيل تبيين مايعود عليه القول : «وجعلناه هدى لبنى اسرائيل» أهو موسى عليه السلام أم الكتاب فى قوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب » نود أن ننتقل الى تعبير فى القرآن الكريم مشابه ولكن فيه شىء من زيادة فى التوضيح ، فقد جاء فى سورة السجدة[1] قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هـــدى لبنى اسرائيل » . فالحديث فى الآية الكريمة على التوالى عن موسى عليه السلام فالكتاب . وتختص كل من الجزئيتين بعد ذلك بموسى عليه السلام فالكتاب على التوالى أيضا . فالقول : « فلا تكن فى مرية من لقائه » يعود على موسى عليه السلام . والمراد فلا تكن يا محمد فى شك من الالتقاء بموسى عليه السلام بعد أن تلاقى وجـــه ربك الكريم . والقول : « وجعلناه هدى لبنى اسرائيل » يعود على الكتاب الذى أنزل الله تعالى على موسى ألا وهو التوراة . ومعروف أن المفروض فى بنى اسرائيل أن يسيروا وفق تعاليم التوراة وهديها ، أثناء وجود موسى عليه السلام بين ظهرانيهم وبعد عودة روحه الى الرفيق الأعلى . وهكذا نتبين أن كلا من موسى عليه السلام والكتاب الذى أوحى الله تعالى اليه كان له حظه العادل فى باقى الآية وفق ترتيب جميل ومنطقى .

فاذا عدنا الى آية سورة الاسراء بشأن موسى عليه السلام والتوراة ، أستطعنا أن نقول الشىء ذاته ، على الرغم من أن التعبير هنا أقصر منه فى سورة السجدة ، قال تعالى : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ﴾ . فالحديث هنا هو الذى هنالك عن موسى عليه السلام وعن الكتاب الذى أوحى الله تعالى اليه . ونستطيع أن نقول ان كلا من موسى عليه السلام والكتاب ، كان له حظه الموفور فى الآية الكريمة . أما موسى عليه السلام فقد آتاه الله تعالى الكتاب . وأما الكتاب فقد جعله الله تعالى هدى لبنى اسرائيل . وان صفة الهداية

---

(١) آية ٢٣ .

تذكرنا بقوله تعالى عن القرآن الكريم فى هذه السورة : ﴿ ان هـذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ • فهى صفة مشتركة بين كل الكتب السماوية •

وما الذى أُمِرَ به بنو اسرائيل فى التوراة ؟ توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك ، ويلاحظ أن هذا ما أمر به الناس كافة على لسان رسل الله تعالى • قال تعالى : ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ﴾ ان بنى اسرائيل ينهون عن أن يتخذوا لهم من دون الله تعالى متوكلا عليه ومستندا •

والمعروف أن النص على ضرورة توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له احدى القضايا الرئيسية فى هذه السورة الكريمة سورة الإسراء •

وجاء فى الآية التالية عن بنى اسرائيل قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ، انه كان عبدا شكورا ﴾ • والآية الكريمة هنا تعنى بنى اسرائيل بالحديث وتخصهم ، ولهذا نصب ذرية بالفتح • والتقدير : أعنى ذرية من حملنا مع نوح •

ونحن فى حقيقة الأمر بصدد استثارة لعناصر الخير فى القوم ، عن طريق تنبيه الآية الكريمة لهم بأنهم من سلالة تلك الفئة القليلة المؤمنة التى صدقت نوحا عليه السلام واتبعته وفعلت الأوامر واجتنبت النواهى، فأنقذها الله تعالى من الطوفان بواسطة السفينة التى أوحى الله تعالى لأول رسول لبنى البشر أن يعملها • جاء فى سورة المؤمنون مثلا قوله تعالى[1] : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ، ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين • قال رب انصرنى بما كذبون • فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين

---

(١) ٢٣ — ٢٩ .

اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون • فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين • وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خـــير المنزلين ﴾•

فكل البشر من سلالة هذه الفئة القليلة المؤمنة بزعامة نـــوح عليه السلام • والآية الكريمة هنا تذكر بنى اسرائيل بفضل الله تعالى عليهم وعلى آبائهم بانجائهم من الغرق ، فتسنى لذريات البشر ومنهم بنو اسرائيل أن يوجدوا بارادته عز وجل فى هذه الحياة الدنيا • وانما أنقذ الآباء من الغرق بسبب ايمانهم ، فينبغى للأبناء أن يسيروا فى الطريق الذى سار فيه الآباء ، وهذا هو المطلوب من بنى اسرائيل • عليهم أن يقوموا بما يجب عليهم من حق الشكر لله تعالى الذى مَنّ عليهم وعلى سواهم بالنعم التى لا تحصى وأن يكونوا خلفـــا لذلك السلف الذى صـــدق بنوح عليه السلام الشكور لمولاه عز وجل •

ويلاحظ أن الآية الكريمة تستخدم بشأن أول رسول أرسله الله تعالى لعباده صفة العبودية ﴿ انه كان عبدا شكورا ﴾ فليس ثمة صفة للتشريف والتكريم تتقدم صفة العبودية لله عز وجل • وهذا ما سبق أن حدث بشأن المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الآية الأولى من السورة •

وهل سار بنو اسرائيل وفق تعاليم التوراة ؟ وهل ساروا على غرار الفئة القليلة المؤمنة من أتباع نوح عليه السلام ؟ وهل قاموا بما يجب عليهم من شكر الله تعالى المنعم المتفضل وقد طلب منهم ذلك ؟ الجواب بالنفى الا من رحم ربك وقليل ما هم •

افساد بنى اسرائيل وانتقام الله تعالى منهم :

قال تعالى : ﴿ وقضـــينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفســـدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا • فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا • ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها • فاذا جاء وعد

الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا • عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ •

المفروض فى أهل الكتاب السماوى أن يكونوا أقرب الى السير فى الصراط المستقيم ، لأن الكتاب بطبعه أطول عمرا من الآيات الأخرى • الا أن بنى اسرائيل ، كما نصت على ذلك التوراة ، وكما نص على ذلك القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، سينحرفون عن ذلك الطريق المستقيم مرة ومرة ، يلى ذينك الانحرافين ، كما يفهم من القرآن الكريم وثبت من الواقع ، انحرافات وانحرافات • وقد جاء فى القرآن الكريم بشأن المرة الأولى التى انحرف فيها بنو اسرائيل عن الخط المستقيم قوله تعالى : ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا • فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا • ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها ﴾ •

ويلاحظ أنه يجىء فى الآية الأولى القول « وقضينا » من القضاء الذى هو من جنس القدر ، ولكنه يتعدى بنفسه ، كما فى قوله تعالى[1] : ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ ويتعدى بعلى ، كما فى قوله تعالى عن سليمان بن داود عليهما السلام[2] ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ بينما تعدى القول « قضينا » فى سورة الاسراء بالى ، قال تعالى : ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ﴾ فلماذا ؟ والجواب أن جملة قضى هنا تضمنت معنى جملة أوحى ، ومن ثم تعدت بالى ، وليس بنفسها وليس بعلى • ومن الطبيعى ألا تجىء هنا جملة أوحى لأن المقصود بنو اسرائيل بعد موسى عليه السلام •

وقد بين القول : « وقضينا الى بنى اسرائيل » شيئا من علم الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء • فقد سبق فى علمه عز

---

(١) القصص ، ٢٩ •
(٢) سبأ ، ١٤ •

وجل وقضـــائه أن بنى اسرائيل ، على الرغم من وجود التوراة أمام أعينهم ، سينحرفون عن الطريق القويم ويعيثون فى الأرض فسادا • كما دل ذلك القول على استعداد بنى اسرائيل الفطرى للانحراف كل مرة عن الطريق القويم • وقد بين القرآن الكريم العلاج الناجع لهذا الانحـــراف •

والذى يدل على استعداد القوم الفطرى للانحراف ، هو أنه يجىء النص الصريح فى التوراة على انحرافهم مستقبلا مرتين ، وينحرفون هاتين المرتين • وينتقم الله تعالى منهم • وينحرفون بعد ذلك كل مرة وينتقم الله عز وجل منهم كل مرة ، دون أن يكونوا قادرين وقتا من الأوقات على الانتفاع من هذه الدروس القاسية التى يلقّنونها • قال تعالى : ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ •

« واللام فى « لتفسدن » جواب قسم • فاما أن يقدر محذوفا ويكون متعلق القضاء محذوفا تقديره وقضينا الى بنى اسرائيل بفسادهم فى الأرض وعلوهم • ثم أقسم على وقوع ذلك وأنه كائن لا محالة • فحذف متعلق قضينا وأبقى منصوب القسم المحذوف • ويجوز أن يكون قضينا أجرى مجرى القسم ، ولتفسدن جوابه ، كقولهم قضاء الله لأقومن »[1]

ومهما يكن الحال ، فان التعبير قوى وغير عادى ، وهو قـــادر على الإيحاء بأن افساد بنى اسرائيل فى الأرض يفوق كل وصف • وليس افساد بنى اسرائيل فى الأرض ، بنص الآية الكريمة ، لمرة واحـــدة ، كى يقال انهم أخطأوا مرة ثم تابوا بعـــد ذلك توبة نصوحا ، انّمـــا افســـادهم فى الأرض بنص الآية الكريمة لمرتين • وكمـــا تنص الآية الأخيرة فى هذه المجموعة ، فان القوم سيفسدون فى الأرض كل مرة يتاح لهم فيها أن يفسدوا وسينتقم الله تعالى منهم كل مرة شر انتقام •

ولا تقف الآية الكريمة عند حد القول بأن بنى اسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين افسادا كبيرا ، انما تتخطى ذلك الى القول خطابا لهم : ﴿ ولتعلن علوا كبيرا ﴾ • وينبغى أن نلاحظ لفظة « كبيرا » التى تبين

---

(١) البحر المحيط ٨/٦ .

ضخامة حجم هذا العلو بالباطل والتجبر على عباد الله تعالى • كما ينبغى أن نلاحظ أيضا المصدر « علوا » المؤكد بطبعه لفعله المعمق لمعناه • فصفات الافساد فى الأرض ، والتعالى المقيت على عباد الله تعالى ، والتكبر البغيض ، بنص الآية الكريمة ، من السمات المميزة لبنى اسرائيل • وقد حدث منهم كل ذلك الكفر بنعم الله تعالى بعد أن مكن لهم عز وجل فى الأرض ، وعلى الرغم من تنبيههم الى أنهم من ذرية أولئك المؤمنين الذين حملهم الله تعالى فى السفينة مع نوح عليه السلام ، العبد الشكور لمولاه •

وتم الافساد من بنى اسرائيل للمرة الأولى ، ومعروف عقاب المفسدين ، وهذا ما جاء بشأن عقاب المرة الأولى • قال تعالى : « فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » • وتقدير الكلام : فاذا جاء وعد عقاب الافساد الأول فى الأرض والتعالى على عباد الله تعالى ، سلط الله تعالى عليهم عبادا له عز وجل أولى بأس شديد ، فترددوا خلال الديار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ملحقين ببنى اسرائيل كل أذى وبلاء من قتل وسلب وتحريق للتوراة الى غير ذلك •

ويلاحظ أنه يجىء فى الآية الكريمة قوله تعالى : « بعثنا عليكم » • وان حرف الجر على الدال على الاستعلاء يعنى اغراء الله تعالى هؤلاء العباد ، أولى البأس الشديد ، ببنى اسرائيل ، وتسليطه اياهم على أولئك الطغاة المفسدين فى الأرض • ويقال ان الذى غزا بنى اسرائيل المرة الأولى جالوت من أهل الجزيرة ، والله أعلم[1] •

والجزئية الأخيرة « وكان وعدا مفعولا » تفيد أن الانتقام قد تم فعلا ، عقب الافساد •

ومن الجائز أن يكون هؤلاء العباد الذين بعثهم الله تعالى على بنى اسرائيل مؤمنين صالحين ، كى يرشدوا بنى اسرائيل الى الطريق الصحيح الذى سبق أن هجروه فضلوا • وقد قال بهذا الرأى نفر من

---

(١) أفاض القرطبى فى هذه القضية ١٠/٢١٥ .

المفسرين • ومن الجائز أن يكون هؤلاء العباد الذين سلط الله على بنى اسرائيل ليسوا مؤمنين ولا صالحين • وانما أغراهم الله عز وجل ببنى اسرائيل كى يفطن هؤلاء الى خطئهم ويتحسروا على ما فرطوا فى جنب الله تعالى وعلى اساءتهم الى عباد الله تعالى ، خاصة وأنهم أهل كتاب ينبغى تطبيق تعاليمه دائما • فحينما يتبين هؤلاء أنه عز وجل قد سلط عليهم عبادا له ، لم يمن عليهم بما من به على بنى اسرائيل ، فذلك أدعى لأن يفطن بنو اسرائيل لسوء صنيعهم ويتوبوا الى بارئهم توبة نصوحا ويعودوا سريعا الى جادة الصواب • وقد قال بهذا الرأى كثير من المفسرين ، ويبدو ، والله أعلم ، أنه هو الرأى الراجح • وخير دليل على ذلك هو أن الآية التالية مباشرة تنص على أنه عز وجل قد انتصر قريبا لبنى اسرائيل من أولئك الذين جاسوا خلال الديار ، ومن على بنى اسرائيل بالنعم التى لا تكاد تحصى • وقد دل ذلك الفضل من الله على أن بنى اسرائيل بعد أن عاقبهم الله تعالى على افسادهم للمرة الأولى فى الأرض قد عادوا الى جادة الصواب • ولو أن الذين سلطوا على بنى اسرائيل كانوا مؤمنين ، لما انتصر منهم عز وجل لبنى اسرائيل سريعا ، كما يفهم من الجو العام للآيتين الكريمتين • وعليه يكون الذين ساموا بنى اسرائيل الخسف هم أنفسهم الذين انتصر عليهم بنو اسرائيل مستقبلا ، بارادته عز وجل •

وقد دل كل ذلك على أن المفسدين فى الأرض الفاسقين ، الذين لم يقوموا بما يجب عليهم من شكر لله تعالى المنعم ، هم الذين ينتقم الله تعالى منهم • كان هذا من نصيب بنى اسرائيل حينما انحرفوا عن جادة الصواب ، وحينما عادوا مرة أخرى الى الجادة ، كان الانتقام من نصيب خصومهم المفسدين الفاسقين • وهذا وذاك يدل عليهما قوله تعالى فى هذه السورة الكريمة : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » •

وبشأن رد الكرة لبنى اسرائيل على خصومهم جاء قوله تعالى خطابا لبنى اسرائيل : « ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » فلم تكتف ارادة الله باعادة الكرة لبنى اسرائيل ، بل من عليهم عز وجل بكثرة الأموال والأولاد ، فاذا ما كان وقت النفير كانوا الأكثر عددا وعدة • ولا يخفى أن الأموال والأولاد

زينة الحياة الدنيا • فهل رعى بنو اسرائيل هذه النعم حق رعايتها ؟ لا ، لم يرعوها ، اذ ما لبثوا أن عادوا سريعا الى الافساد فى الأرض والتعالى المقيت على عباد الله تعالى • على الرغم من تنبيههم الى المسئولية الملقاة على عواتقهم ، والى سنة الله تعالى التى لا تتحـول بشأن كل من المحسنين والمسيئين • المحسنون لن يغير الله تعالى عليهم نعمة أنعمها عليهم ، والمسيئون يؤخذون أخذ عزيز مقتدر • لقد جاء تعقيبا على المرة الأولى قوله تعالى خطابا لبنى اسرائيل : « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها» وهو تعقيب يتعلق بالسلوك الانسانى والمسئولية اللذين أولتهما السورة عناية فائقة ، ويبين فى وضوح تام ، أن كل انسان مسئول مباشرة عن كل ما يصدر منه • وقد جاءت اللام فى القول « لأنفسكم » والقول « فلها » من باب مراعاة النظير ، اذ الثانية بمعنى على التى جاءت فى هذه السورة فى قوله تعالى : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها » •

وعلى الرغم من العقاب الشديد الذى كان من نصيب بنى اسرائيل اثر افسادهم فى الأرض للمرة الأولى ، وكون التوراة بين أيديهم ، وعلمهم النظرى والتطبيقى بأن من أحسن يثاب ومن أساء يعاقب ، فانهم ، كما قالت التوراة ،قاموا ، للمرة الثانية بالافساد فى الأرض والتعالى الكبير على عباد الله تعالى • قال عز من قائل :﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾• ويبدو من النص القرآنى ، والله أعلم ، أن العقاب فى المرة الثانية كان أشد وطأة منه فى المرة الأولى ، كما يبدو من هذا التعقيب ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ أنه أطول زمنا •

أما أن العقاب فى المرة الثانية كان أشد وطأة ، فلأن النص القرآنى الذى يميل هذه المرة الى الطول النسبى ، فيه ذكر لثلاثة مظاهر للعقاب• وهى مظاهر مسعفة للتعقيب الذى يوحى بطول الزمن ، وبخاصة المظهر الثالث للعقاب • وهذه هى المظاهر الثلاثة للعقاب :﴿ ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ • ويلاحظ أن هذه المظاهر الثلاثة للعقاب عبارة عن المراحل الأخيرة للعقاب أو نتائجه ، وذلك يدل على أن هناك مراحل كثيرة سـابقة أو مقـدمات للعقاب كان من نتائجها أن تسوء وجوه القوم ، وأن يدخل عباد الله

تعالى الذين سلطهم على بنى اسرائيل المسجد ، وأن يعيثوا مدة تعاليهم فى البلاد فسادا وغطرسة • ويلاحظ هنا أن الجزاء من جنس العمل والانتقام من نوع الإفساد والتعالى •

ونستطيع أن نفهم من النص القرآنى أن الله تعالى قد سلط على بنى اسرائيل ، هذه المرة ، عبادا له أولى بأس شديد مثل العباد الذين سلطهم عليهم للمرة الأولى ، وأن هؤلاء العباد جاسوا خلال الديار مثل الذى تم فى المرة الأولى ، بالاضافة الى أنهم قد دخلوا المسجد ، وليس وراء هذا الذل وراء ، وقد ظهر أثر ذلك الذل والانكسار والتألم لما حدث ، فى السوء الذى لازم أوجههم ، فالناظر اليهم يفهم لأول وهلة وطأة الألم الذى انتابهم والذل الذى هيمن عليهم •

كما نستطيع أن نفهم من هذا القول فى الآية الكريمة : « وليتبروا ماعلوا تتبيرا» أن التخريب وكذلك الافساد الذى رافق هؤلاء العباد أولى البأس الشديد قد لازمهم كل المدة التى قدر لهم أن يسيموا فيها بنى اسرائيل الخسف ونعتقد — كما سبق أن بينا — أنها مدة طويلة •

ويبدو من هذا القول فى الآية الكريمة : « وليتبروا ما علوا تتبيرا » أن هؤلاء العباد الذين سلطهم الله تعالى على بنى اسرائيل لم يكونوا مؤمنين ولا صالحين • ولعل فى هذه الحقيقة دليلا على ما سبق أن رجحناه قبل من كون الذين بعث الله تعالى على بنى اسرائيل فى المرة الأولى لم يكونوا مؤمنين ولا صالحين • والله أعلم •

واذا تبين أن عقاب الله تعالى لبنى اسرائيل جزاء الافساد والتعالى للمرة الثانية أشد من عقاب المرة الأولى ، فان التعقيب فى المرة الثانية مجانس لذلك العقاب ، تماما كما كان التعقيب فى المرة اولى مجانسا لعقابها • جاء تعقيبا على المرة الأولى قوله تعالى : ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها ﴾ بينما جاء فى المرة الثانية متضمنا الترجى أن تشملهم مستقبلا رحمة الله تعالى ، قال عز من قائل : ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ •

وحيث إنّ رحمة الله تعالى بهم مبنية على عودتهم الى الطريق

المستقيم ، فانه يمكن أن يفهم من هذا التعقيب أن الأمل فى عودة بنى اسرائيل ، الذين غضب الله تعالى عليهم ، الى جادة الصواب ليس قويا ، على الأقل بعد العقاب مباشرة • لأن التخلص من الصفات المرذولة التى اكتسبوها يحتاج الى مجاهدة وزمن ، وكما يحتمل التعقيب عودة بنى اسرائيل بعد حين الى الطريق الصحيح ، فانه أيضا يحتمل استمراءهم للضلال البعيد الذى هم فيه ، واستمرارهم عليه وعدم رغبتهم فى التخلص منه • ويبدو أن الاحتمال الأخير وارد ، لأن القوم يأخذون بمرور الأيام فى الابتعاد عن وقت موسى عليه السلام • وقد نص القرآن الكريم على أن أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد قد قست قلوبهم وغدا أكثرهم فاسقين • وان صفة الفسق تعنى غضب الله تعالى على القوم فالانتقام • وهذا الاحتمال خير مهيىء للانتقال الى تعبير آخر يدل بدرجة أقوى على احتمال عودة بنى اسرائيل كل مرة الى طريق الضلال ، فالافساد فى الارض والتعالى على عباد الله تعالى • وقد قرن هذا التعبير الذى يدل على عودة بنى اسرائيل الى الضلال البعيد ، بالعقاب الشديد كل مرة فيها ينحرفون • وذلك على غرار العقاب الشديد الذى كان من نصيبهم من قبل مرتين ، لافسادهم فى الارض مرتين وتعاليهم على عباد الله تعالى • قال عز من قائل : ﴿ وان عدتم عدنا ﴾ •

ويلاحظ أننا بصدد أسلوب الشرط ، فليس الكلام بسيطا ولا عاديا ، انما هو الأسلوب الذى يتعهد فيه رب العزة بالعودة الى الانتقام من بنى اسرائيل كل مرة يعودون فيها الى الافساد فى الأرض والتعالى على عباد الله تعالى •

ومما هو مهيىء للقول « وان عدتم » الدال على استعداد بنى اسرائيل الفطرى للعودة الى الافساد والتعالى لفظة الآخرة التى استعملت دليلا على افساد القوم المرة الثانية • قال تعالى : « فاذا جاء وعد الآخرة » لقد جاء فى الآية الكريمة لفظ الآخرة بالذات ــ ونحب أن ننبه الى أن الآية لا تستعمل لفظ : الأخيرة ــ لأنه سبق فى علمه عز وجل أن هذه المرة الثانية ليست الاخيرة ، وانما هى الآخرة بالقياس الى النص فى التوراة أساسا على المرتين اللتين سيفسد فيهما بنو اسرائيل فى الأرض ويتعالون على عباد الله تعالى تعاليا كبيرا •

وبتأملنا لتاريخ بنى اسرائيل بعد الافساد فى الأرض مرتين وانتقام

الله تعالى منهم ، يتبين أنه العودة الدائمة للافساد فى الأرض والتعالى على عباد الله تعالى ، كما يتبين أن انتقام الله تعالى منهم دائما يتجلى فى اغراء عباد له عز وجل أولى بأس شديد ببنى اسرائيل وتسليط هؤلاء العباد عليهم • تجلى ذلك مثلا فى انتقام الله تعالى منهم جزاء عودتهم الى الافساد بتسليط الله تعالى الأكاسرة وضرب الاتاوة عليهم[1] « وعن الحسن : عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون • وعن قتادة ، ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحى من العرب فهم منه فى عذاب الى يوم القيامة[2] » •

وأقرب حلقة فى سلسلة افساد بنى اسرائيل فى الأرض وتعاليهم على عباد الله تعالى ، هو ما فعلوه ويفعلونه الآن بالمسلمين فى فلسطين العربية المسلمة من تقتيل وتشريد وتعذيب وطرد لهم من ديارهم • كل ذلك يحل بهم لأنهم مسلمون لله رب العالمين • يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله • وفى هذه الحلقة الأخيرة من السلسلة تحقق قوله تعالى خطابا لبنى اسرائيل : «وان عدتم» حيث انهم قد عادوا — وذلك ديدنهم — الى الافساد فى الأرض بتقتيل المسلمين وطردهم وتعذيبهم وتحريق المسجد الأقصى والسعى الى تهويد مدينة القدس مسرى نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم •

وبقى أن يتحقق باذن الله تعالى وحسب وعده قوله عز من قائل خطابا لبنى اسرائيل « عدنا » أى عدنا الى الانتقام منكم جزاء افسادكم فى الأرض وتعاليكم على عباد الله تعالى • وسيكون باذنه تعالى الانتقام من بنى اسرائيل هذه المرة على يد عباد لله تعالى أولى بأس شديد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم[3] سيكون باذنه تعالى الانتقام من بنى اسرائيل المفسدين فى الأرض المتعالين على عباد الله تعالى على يد جند لله تعالى ، على يد الجيش الذى شعاره[4] لا اله الا الله محمد رسول الله ، على يد أولئك

(٢،١) البحر المحيط ٦/١١ والكشاف ٢/٢٢٥

(٣) المائدة ٥٤

(٤) ستكون باذنه تعالى هذه هى راية الجيش الاسلامى لتحرير القدس وفلسطين وكل بلد اسلامى .

الذين قال الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز[1] ﴿ محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

جاء فى الظلال[2] : فأما اذا عاد بنو اسرائيل الى الافساد فى الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية : « وان عدتم عدنا » .

ولقد عادوا الى الافساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها . ثم عادوا الى الافساد فسلط عليهم عبادا آخرين ، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم « هتلر » وقد عادوا اليوم الى الافساد فى صورة « اسرائيل » التى أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات . وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقا لوعد الله القاطع ، وفاقا لسنته التى لا تتخلف . وان غدا لناظره قريب ! » .

الحكمة من استعمال لفظة مسجد :

وقبل أن نأخذ من القرآن الكريم والسنة المطهرة العلاج الناجع مع القوم ، نود أن نبحث عن الحكمة من استعمال القرآن الكريم لفظة المسجد مرتين فى القسم الذى مر بنا من السورة الكريمة ، وبالذات فى الآية الأولى والسابعة . قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ وقال تعالى : ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ .

الحقيقة أن استعمال القرآن الكريم فى هذه السورة الكريمة مرتين لفظة المسجد بالذات مؤثرا له على أى لفظ آخر يدل على مكان العبادة

---

(١) الفتح ٢٩
(٢) ١٥/١٦

فى الديانات السماوية السابقة ، قضية على جانب كبير جدا من الأهمية ، وبحاجة منا الى أن نقف عندها وقفة متأنية محاولين أن نتبين السبب فى هذا الايثار للفظ مسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام • أما المرة الأولى ففى قوله تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير ﴾ ويلاحظ أن المصطفى صلى الله عليه وسلم يصلى ليلة الاسراء والمعراج فى المسجد الأقصى للمرة الاولى ، مع العلم بنص الآية الكريمة أنه عز وجل قد بارك بلاد الشام حوله من الناحيتين الدينية والدنيوية معا • انها أرض الانبياء من ناحية ، وأرض الخيرات من ناحية أخرى • وأما المرة الثانية ففى قوله تعالى خطابا لبنى اسرائيل : ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ •

ينبغى أن يعلم ابتداء أن القرآن الكريم لا يتحرج من استعمال الألفاظ التى تدل على أماكن العبادة فى الديانات السماية السابقة • جاء فى سورة الحج[1] قوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ ومعنى[2] دفع الله بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة • ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة فى أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد » •

ولا نستطيع أن نقول ان الآية الكريمة تستخدم لفظ المسجد فى قوله تعالى : « الى المسجد الأقصى » من باب مراعاة النظير الذى سبق أن جاء فى الآية الكريمة « من المسجد الحرام » بدليل أن السورة الكريمة ، بعد الحديث عن الاسراء الذى كان الى الشام ، تعدل عن الحديث عن المعراج الى الحديث عن موسى عليه السلام الذى له علاقة من نوع ما ، بأرض الشام ، وبدليل أن الآية الكريمة التى تخاطب بنى اسرائيل ، تعدل عن استعمال اللفظ الذى يدل على مكان العبادة فى اليهودية الى اللفظ الذى

---

(١) آية ٤٠
(٢) الكشاف ٢/٣٥٠

يدل على مكان العبادة فى الإسلام : ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾ ولا يخفى أنه ليس فى هذه الآية الكريمة ما يسمى بمراعاة النظير التى يصح أحيانا أن تؤخذ فى الاعتبار .

وفى امكاننا أن نضيف دليلا جديدا على ميل القرآن الكريم لاستعمال لفظ المسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام مؤثرا له على ما عداه من ألفاظ تدل على أماكن العبادة فى اليهودية والنصرانية ، تلك الألفاظ التى لم يتحرج من استعمالها حينما لم تكن هناك مندوحة لاستعمال سواها كما مر بنا فى آية سورة الحج . وهذا الدليل الجديد ، هو أنه اذا كانت الآية الكريمة فى سورة الإسراء ، أثناء حديثها عن أتباع الملة اليهودية ترغب عن استعمال لفظ العبادة الدال على مكان العبادة فى اليهودية الى لفظ مسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام ، فان هذه الرغبة ذاتها نتبينها فى سورة الكهف أثناء الحديث عن أهل الانجيل المسيحيين أتباع عيسى عليه السلام . جاء فى سورة الكهف[1] قوله تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ﴾ . فالآية الكريمة تعدل عن استعمال اللفظ الدال على مكان العبادة فى المسيحية الى اللفظ الدال على مكان العبادة فى الاسلام .

ونعتقد أنه آن لنا أن نجيب عن هذا السؤال وهو : لماذا يرغب القرآن الكريم عن استعمال الألفاظ التى تدل على أماكن العبادة فى الديانات السماوية السابقة الى استعمال لفظ المسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام ؟

الحقيقة أننا نفهم من الرغبة فى القرآن الكريم لاستعمال لفظ المسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام أن الاسلام ناسخ للديانات قبله ، وأن القرآن الكريم ،معجزة الاسلام الكبرى الخالدة ، مهيمن على الكتب السماوية السابقة ، وأن المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الوارث

---

(١) آية ٢١

لمقدسات الاديان السماوية السابقة • والحقيقة أيضا أننا نربط بين رغبة القرآن الكريم عن استعمال الالفاظ الدالة على أماكن العبادة فى الديانات السماوية السابقة الى استعمال لفظ المسجد الدال على مكان العبادة فى الاسلام ، الدين الذى ارتضى رب العزة لعباده ، وبين قوله تعالى[1] : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ وقوله تعالى[2] : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ وقوله تعالى[3] : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ وقوله تعالى[4] : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وقوله تعالى[5] : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾ •

أما وقد تبينا أن فى القرآن الكريم اتجاها واضحا لاستعمال لفظ المسجد دليلا على المكان الذى يعبد الله عز وجل عنده المسلمون وغيرهم من أهل الكتب السماوية ،وأنه يستنتج من ذلك أن الاسلام ناسخ للاديان قبله ، والقرآن الكريم مهيمن على الكتب السماوية قبله ، وأن رب العزة تكفل لدين الاسلام الذى ارتضى لعباده بأن يظهره على الدين كله ، وأن المسجد الأقصى الذى أسرى اليه خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، والمكان الذى باركه الله عز وجل حق للمسلمين أولا بنص الآية الكريمة التى تستخدم لفظ المسجد وليس أى لفظ آخر يدل على متعبدات الديانات الأخرى ، وأن المسلمين الأوائل قد امتثلوا أمر الله تعالى فجاهدوا فى سبيله حق الجهاد فاستخلفهم فى الأرض ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وأصبحت كلمة الله هى العليا ، وأصبح المسلمون هم المسيطرين الحاكمين الذين أتاحوا لعباد الله تعالى الحرية الكاملة كى يدخلوا فى دين الاسلام أو أن يبقوا على دينهم السماوى وفق قواعد معينة ، فبذلك تمتع عباد الله تعالى بالحرية الكاملة كى يختاروا الدين الذى يرتضون ، دون أن يكون لأية سلطة خارجية أى نفوذ يتيح لهم أن يحولوا بين عباد الله تعالى وبين حرية الاختيار هذه ،

---

(١) آل عمران ، ١٩ .
(٢) آل عمران ، ٨٥ .
(٣) المائدة ، ٢
(٤) التوبة ، ٣٣ والصف ٩ .
(٥) الفتح ، ٢٨ .

وبذلك نفذ المسلمون ما جاء فى قرآن ربهم : ﴿ لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾[1] أما وقد تبين لنا كل ذلك ، فهل يجوز للمسلمين أن يتخلفوا عن الجهاد فى سبيل الله تعالى أو أن يتهاونوا فى إعداد العدة الكاملة لاستعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والأمكنة حوله التى بارك الله تعالى ؟ لا لا يجوز للمسلمين أن يتخلفوا عن الجهاد فى سبيله أو يتهاونوا فى إعداد القوة التى يرهبون بهـا عدو الله وعدوهم ، وعلى المسلمين أن يكونوا دائما على أتم استعداد فان ساعة الجهاد آتية لا ريب فيها . قال تعالى[2] : ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ وقال تعالى[3] : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون ﴾ وقال تعالى[4] : ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ وقال تعالى[5] : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ وقال تعالى[6] : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ وقال تعالى[7] : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ وقال تعالى[8] : ﴿ قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون ﴾ .

---

(١) البقرة ، ٢٥٦
(٢) الروم ، ٤٧ .
(٣) الصافات ، ١٧١ — ١٧٣ .
(٤) غافر ، ٥١ .
(٥) الأنفال ، ٦٠ .
(٦) الممتحنة ، ٨ ، ٩ .
(٧) المائدة ، ٥١ ، ٥٢ .
(٨) التوبة ، ٥٢ .

وحيث أن لخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم خاصة مع بنى اسرائيل تجارب قاسية ومريرة ، وقد نصره عز وجل عليهم نصرا مؤزرا ، فينبغى أن نحيط علما بتفاصيل تلك التجارب • وقد نزل فى ذلك قرآن كثير ومن مجموع الآيات والاحاديث والأعمال ، نستطيع أن نكوّن نحن المسلمين منهجا متكاملا نطبقه لاستعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وتحرير كل بلد اسلامى حل به الظلم والعدوان • ونستطيع أن نقول ابتداء ان الجزيرة العربية لم تهدأ ولم يقر لها قرار الا بعد أن تم اجلاء اليهود بالكلية تقريبا من كل جزيرة العرب على عهد عمر رضى الله تعالى عنه الذى نفذ ما فهم من حديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن ، وأكمل ما بدأه صلى الله عليه وسلم من اجلاء لليهود من المدينة المنورة والأماكن القريبة منها ، على نحو ما سيتبين لنا من الاستعراض السريع للدرس التطبيقى التفصيلى من السنة النبوية المطهرة التى هى تطبيق لتعاليم الذكر الحكيم وتبيين له • وسيتبين لنا أن فى هذا الدرس لانتقام الله عز وجل من بنى اسرائيل جزاء خيانتهم العظمى وافسادهم فى الأرض على يد محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه والذين ساروا على هديه ، أكبر فائدة متوخاة ينبغى أن نتأسى بها فى دفع الظلم الذى أوقعه ويوقعه بنو اسرائيل بشعب فلسطين العربى المسلم والبلاد العربية المسلمة ، وقد قال عز من قائل[1] : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ •

حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة مباشرة على أن يوحّد بين صفوف سكان مدينة يثرب ، التى عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة وبين المهاجرين • فآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وبين الأنصار الذين كانوا يعرفون بالأوس والخزرج ، كما كتب كتابا وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم[2] والمعروف أنه كان يسكن مدينة يثرب الأوس والخزرج واليهود • ويقال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وكان لليهود اذ ذاك نصيب فى المغنم اذا قاتلوا مع المسلمين ، كما اشترط عليهم فى هذا الكتاب النفقة فى الحروب[3] •

---

(١) الأحزاب ، ٢١ •
(٢) السيرة ١/٥٠١ •
(٣) هامش السيرة ١/٥٠٤ نقلا من الروض الانف •

وحينما نتأمل هذا الكتاب الذى كتبه النبى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فانه يتضح أن لليهود فيه الكثير من الحقوق ، وعليهم الكثير من الواجبات . واليك هذه المقتطفات من الكتاب[1] : « وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأســوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وان يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ[2] إلا نفسه وأهل بيته » . وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم البطون الأخرى من اليهود الحقوق ذاتها[3] حيث سماها بطنابطنا . كما أن عليهم جميعا الواجبات التى على المسلمين . فقد جاء فى الكتاب[4] : « وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم .. وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وانه لم يأثم امرؤ بحليفه . وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .. وانه لا تجار قريش ولا من نصرها . وان بينهم النصر على من دهم يثرب .. وان يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة » الى آخر الحقوق والواجبات التى تضمنها الكتاب الذى كتبه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة مباشرة . فهل رعى اليهــود ذلك ؟ لا . لم يرعوا ذلك واليك البيان :

اليهود يظهرون العداوة للاسلام والمسلمين :

نكث اليهود العهد ونقضوا ذلك الكتاب . وانما كان منهم ذلك بسبب حسدهم للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، على الرغم من علمهم اليقينى بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة وأمروا باتباعه ، وعلى الرغم من علمهم السابق لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم والهجرة بأنه حان الوقت الذى سيبعث

---

(١) السيرة ١/٥٠٣ .
(٢) لا يهلك .
(٣) انظر السيرة ١/٥٠٣ .
(٤) السيرة ١/٥٠٣ .

فيه خاتم الأنبياء والمرسلين • بل كان يهود يثرب[1] : « يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه • فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور ، أخو بنى سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته فقال سلام بن مشكم ، أحد بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكره لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف[2] حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم (صلى الله عليه وسلم) ما أخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه : والله ما عهد الينا فى محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق • فأنزل الله فيه : ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ، بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ •

وقال أبو صلويا الفطيونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد، ما جئتنا بشىء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها • فأنزل الله فى ذلك من قوله : ﴿ ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ﴾ •

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ •••

قال ابن إسحاق : وكان حيى بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشد يهود للعرب حسدا ، اذ خصهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم • وكانا جاهدين فى ردّ الناس عن الاسلام بما استطاعا • فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد

---

(١) السيرة ١/٥٤٧ •
(٢) اليهودى •

ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفـوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ، ان الله على كل شىء قدير ﴾ . الى غير ذلك من الآيات فى الذكر الحكيم التى تبين شدة عداوة هؤلاء اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين .

وقد أسلم منهم وصدق بالرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام[1] ومخيريق[2] وقد استشهد الأخير يوم أحد . وناصب اليهود عبد الله بن سلام العداء لأنه أسلم . والى أمثال هذين المستثنين أشار قوله تعالى[3] : ﴿ ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر ويسـارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾ .

وفى السيرة النبوية[4] شهادة من صفية زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن عداوة اليهود له صلى الله عليه وسـلم وللمسلمين ، تلك العداوة المتمثلة فى أبيها اليهودى حيى بن أخطب وعمها أبى ياسر بن أخطب كذلك . « قالت : وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى ، حيى بن أخطب [بعد أن قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ونزل بقباء ورآه كل من حيى وأبى ياسر] أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال نعم . قال فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت » .

المنافقون اخـوان اليهود :

« قال ابن إسحاق[5] : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسـول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا ، لمـا خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم . وانضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج ، ممن كان عسى[6] على جاهليته ،فكانوا أهل نفاق على دين

---

(١) السيرة ١/٥١٦ .
(٢) السيرة ١/٥١٨ .
(٣) آل عمران ، ١١٣ — ١١٥ .
(٤) ١/٥١٩ .
(٥) السير ١/٥١٣ .
(٦) بقى .

آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث . إلا أن الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه . فظهروا بالاسلام ، واتخذوه جنة من القتل ، ونافقوا فى السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبى صلى الله وسلم، وجحودهم الاسلام . وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه[1] ويأتونه باللبس ، ليلبسوا الحق بالباطل . فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه الا قليلا من المسائل فى الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها » .

من النص السابق يتضح أن المنافقين هم فقط الذين يوالون اليهود ويتملقونهم .

من اليهود من يتظاهر بالإسلام :

وهناك جانب آخر على درجة كبيرة من الأهمية ، فى هذه القضية تبينه لنا السيرة النبوية ، وواجبنا أن نعيه جيدا كى نأخذ حذرنا . وهو أن بعض اليهود على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم تظاهروا بالاسلام ، وتسنى لهم بذلك أن يندسوا فى صفوف المسلمين ، بقصد الافساد والصد عن سبيل الله تعالى . ولكنه عز وجل كان لهم بالمرصاد، وكان يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل مكر وكيد لهؤلاء . وقد كان يفضح بعض هؤلاء ما تزل به ألسنتهم . جاء فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم عمن أسلم من أحبار يهود نفاقا :[2] « قال ابن اسحاق : وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود من بنى قينقاع : سعد بن حنيف وزيد ابن اللصيت ونعمان بن أوفى بن عمرو وعثمان بن أوفى » .

وزيد بن اللصيت الذى قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوق بنى قينقاع وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته : إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته ؟ وإنى

---

(١) يشقون عليه .
(٢) السيرة ٥٢٧/١ .

والله ما أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها • فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف •

ورافع بن حريمة ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حين مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين •

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح وهو قافل من غزوة بنى المصطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها • فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار • فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبت فيه الريح •

وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا :

وتبين من النظرة الأولى ، أنّ هؤلاء وأمثالهم من أعداء الله والاسلام، يتظاهرون بالاسلام كى يتمكنوا من ضرب المسلمين فى الصميم • فواجب المسلمين أن يأخذوا حذرهم وألا يغفلوا عن أعداء الله تعالى والاسلام طرفة عين ، خاصة وأنهم اليوم فى حرب عوان وضروس وسافرة غير مقنعة •

اليهود يعادون من أسلم منهم :

إذا كان عداء اليهود للمسلمين كبيرا ، فمن الطبيعى أن يكون أكبر فى حق الذين اعتنقوا الإسلام صادقين منهم • واليك هذا النص من السيرة النبوية الذى يبين عداء اليهود الأعمى لكل مسلم لله رب العالمين• وهذا النص متعلق باسلام عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه[1] : « قال ابن اسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثنى بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم وكان حبرا عالما قال : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف[2] فكنت مسرا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله

(١) السيرة ١/٥١٦ .
(٢) نترقب ونتوقع .

عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة ابنة الحارث تحتى جالسة • فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبّرت،فقالتلى عمتى حينسمعت تكبيرى : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال : فقلت لها أى عمه ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به ؛ قال : فقالت أى ابن أخى • أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها نعم • قال : فقالت فذاك إذاً • قال : ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ثم رجعنا الى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا •

قال : وكتمت اسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : يا رسول الله ، ان يهود قوم بُهت ، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامى فانهم ان علموا به بهتونى وعابونى • قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وابن سيّدنا وحبرنا وعالمنا • قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته فانى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه • فقالوا : كذبت • ثم وقعوا بى • قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت ، أهل غدر وكذب وفجور ! قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى وأسلمت عمتى خالدة بنت الحارث فحسن اسلامها •

اليهود ينقضون العهد (بنو قينقاع) :

كان يهود بنىقينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوا فيما بين بدر وأحد[1] •

---

(١) السيرة ٢/٤٧ .